

مشكلة الزواج بين سكان المدن للاستاذ أحمد خليف

ليس هنالك من شك في أن الزواج من أعقد مشاكلنا الاجتماعية التي كثرت فيها الكلام وتعددت الآراء واختلفت الحلول . ولكنا بالرغم من ذلك لم نوفق حتى الآن الى الحل الذي نراه كفيلا بعلاج هذه المشكلة مؤديا بها الى الغرض الذي تنشده الأمة وهو إيجاد جيل صالح اكتملت فيه كل العناصر التي تجعله جديرا بالبقاء ، جديرا برفع لواء بلاده والقصد الذي يرتضيه الفرد باعتباره جزءا من مجموع الأمة وهو تهيئة الحياة السعيدة التي يصبو اليها ويطمح فيها عن طريق الزواج . ولذلك أسباب كثيرة تتلخص فيما يلي :

(أولا) أثرت المدنية الحديثة بتأثيرها الجارف في أخلاق كل من الشاب والفتاة تأثيرا له خطره الكبير الملحوظ فيما تراه من تدهور الأخلاق والبعد عن الفضيلة وتقليد الغرب في عاداته المستمجة ونبذ تقاليدنا الشرقية الموروثة .

لم يفهم الكثير من الناس كلمة المدنية إلا على الوجه الخاطئ . حقيقة إنها أشعرت الفرد سواء كان رجلا أم امرأة بما له من الحقوق وما عليه من الواجبات إلا أن البعض أساء فهمها فنشأت نتيجة ذلك حالة الانحلال الخلقي التي تلمسها بين المستعمرين وشاع الاستمرار بالتقاليد وعم الفساد فأصبح المجتمع يرزح الآن تحت مساوئ اجتماعية خطيرة تفشت بين سائر الطبقات حتى أدرك بعض المصلحين الاجتماعيين خطرها فنادوا بوجوب إصلاح المجتمع وتخليصه من أدران ما أصابه من الفساد .

تأثرت الفتاة المعصرية الى حد بعيد بالمدنية الحديثة فأرادت تقليد زميلاتها الغربية إلا أن هذا التقليد شمل كل شيء في نظام حياتها الاجتماعية حتى طباعها وأخلاقها فحررت نفسها من القيود التي فرضت على المرأة الشرقية فيما مضى وأصبحت الآن لا تهاب بتقاليدنا الموروثة وإنما تعمل وتفعل ما يترأى لها حسب أهوائها وميولها الشخصية . وهي وإن كانت تتجه أحيانا إلى غاية نبيلة إلا أنه نظرا لهذه الطفرة في حياتها الاجتماعية التي تريد بها أن تصبح على قدم المساواة في الحقوق مع زميلاتها الغربية وتنازعها بين نوعين مختلفين من الحياة ، حياة حدودها ضيقة ، وهي حياة المنزل وحياة أفقها متسع وهي الحياة خارجه أصبحت لا تقوى على الوقوف أمام هذا التيار الجارف الذي يلاحقها في عواطفها وميولها فانزلقت في الهاوية بسهولة وكان للندية بالرغم من محاسنها عيوبها الفاهرة وأثرها الخطير الواضح في أخلاق الفتاة .

عرف الشاب ذلك عن الفتاة وسهل عليه مصاحبة من يشاء من الفتيات واستطاع الحصول منهن على متعته المؤقتة فأحجم عن الزواج وأعرض عنه وخشى عاقبته لأنه في كل يوم أمام حالة جديدة وكارثة خلقية متكررة .

(ثانياً) هنالك شروط أو عناصر يرى الشاب وجوب توافرها في الفتاة التي يختارها لتكون شريكة حياته . وهذه العناصر تختلف في نظر كل شاب عن الآخر كما أنها تختلف عند الفتيات أنفسهن فهذا شاب يرى جمال الشكل واعتدال القوام المثل الأعلى في الفتاة التي يريدتها وذلك يرى الفتاة الثرية هي ضالته المنشودة وذلك يرى مكانة عائلتها الأدبية وحسبها ونسبها إنما هو كل ما يبغيه في الفتاة ورابع يفضل المتعلمة تعليماً راقياً لتكون أقرب إلى فهم ميوله وطباعه وتقدير مجهوده في الحياة من غيرها . وهكذا نرى تباين العناصر التي تستهوى الشاب وتجيبه في اختيار الفتاة التي يرومها ويود الاقتران منها ولكن بالرغم من توفيق الكثير من الرجال في الحصول على الفتيات اللاتي ينفسون إلا أن الكثير يفشلون في حياتهم الزوجية ذلك لأن توافر العناصر التي تتطلبونها في الفتاة ليس معناه الحصول على وثيقة النجاح في الحياة الزوجية إذ النجاح في هذه الحياة المعقدة يتطلب أولاً وقبل كل شيء امتزاج طبيعة الزوجين امتزاجاً تاماً وفهم كل من الطرفين الآخر فهما تاماً يصحب ذلك الشعور بالميل كل إلى الآخر وخلاصة ذلك ما يسمى بالتجانس أو الانسجام بين الزوجين .

(ثالثاً) بالرغم من تطور الحياة الاجتماعية ومعرفة العائلات المصرية بأن الزواج لم يعد كما كان يقصده به فيما مضى من اتخاذ الزوج لزوجته كسلعة مطلوبة الحقيق لا يتبنى منها إلا إشباع رغباته الجنسية — ولذلك فقد كان الزواج أشبه شيء بصفقات تجارية يرتفع فيها ثمن شراء الزوجة أو ينخفض تبعاً لمكانة عائلتها ومبلغ ثرائها — وبالرغم من معرفة البيوتات المصرية بأن الزواج إنما هو شركة بين فردين أريد بهما التعاون لمواجهة الحياة والكفاح في سبيل الحصول على العيش واقتسام حلول الحياة ومزاها . بالرغم من ذلك نجد أنه ما زالت بعض العائلات تميل إلى الرجعية وتنظر إلى مسألة الزواج على غير حقيقتها فتعالي في طلب الصداق لفتاتها وتعمل على إرهاب المتقدم لخطوبتها بما فوق طاقتها وتكيد نفقات ليست في مقدوره فتكون النتيجة انصراف الكثير من الشبان عن خطوبتها ويزدهم الكثير ممن يصلحون أزواجاً يقدرهم الزوجية ويفهمونها على وجهها الصحيح . وقد تجد مثل هذه العائلة بغيها في رجل يستطيع القيام بكافة النفقات التي تطلبها إلا أن النتيجة بعد ذلك تكون فشلاً تاماً بين الزوجين في حياتهما وتذهب الفتاة اتعسة ضحية تعنت عائلتها وسوء تصرفها .

(رابعاً) عدم تشجيع الشبان على الزواج . فالحياة الزوجية كما يعرفها كل فرد لها تبعاتها ومسئولياتها كما أن لها نفقاتها ومستلزماتها . ولذلك لا يجد الشاب ذو المرتب الصغير المحدود مع ما يعرفه عنها ما يغريه فيها . وهو وإن كان يؤمن في قرارة نفسه بأنها حياة استقرار إلا أنه من الناحية الأخرى يعتقد أنه ليس هنالك ما يؤمنه عليها ويحفظ لها مستقبلاً .

إذا ما تزوج الموظف زادت بلا شك نفقات معيشته وتستمر هذه الزيادة في الاطراد كلما أثمر الزواج . ولذلك إذا لم يجد ما يعينه على حياته الزوجية ويخفف عنه بعض أحمالها ساءت حالته من الوجهتين الاجتماعية والمادية . وإذن يمكن إن يقال إن عدم مساعدة

الحكومة والمهنيات فيما مضى للتزوج بزيادة مرتبه وتعليم بعض أبنائه بالمجان صرف الكثير من الشبان عن الاقدام على الزواج في حين أن الحكومات في البلاد الأجنبية الراقية تعمل على التخفيف عن المتزوج بكافة الوسائل وتشعره بأن له حقا عليها يجب أدائه كما أنه يؤدي لها حقا من أجل وأسمى الحقوق الا وهو تنشئه أبناء يعرفون حقوق بلادهم ويدافعون عن هذه الحقوق فليس أقل من أن تساطره الحكومة بعض تبعاته وتخفف عن كاهله .

ذكرت كل ما أراه من أسباب لها أكبر الأثر في تفاقم مشكلة الزواج في بلادنا بين سكان المدن والآن أدلى للحضر: تكم بما أقترحه من حلول لها :

(أولا) الدعوة إلى التمسك بتقاليدنا الموروثة ونبذ ما ساء الى حياتنا الاجتماعية . فقد شاعت في المجتمع المصري وبخاصة في السنوات الأخيرة عادات دخيلة عليه أريد بها تقليد الأجانب حتى اعتبرت تطورا في المدنية الحديثة وكان لها مع الأسف الشديد أكبر الأثر في انحلال الأخلاق وتدهورها . فالرقص الأفرنجي في المحال العامة واختلاط الجنسين في النوادي والصالونات خصوصا مع عدم وجود العائلة وارتياح شواطئ الاستحمام بالطريقة التي طُلما أحدثت صيحات مدوية في الجرائد والمجلات وغير ذلك من المصادات التي أخذناها عن الأجانب أدت مجتمعنا الى هذه الحالة السيئة حتى خيف على البقية الباقية من الأخلاق أن تذهب كما أدت الى تفاقم مشكلة الزواج .

ومع معرفتنا بأن الفتاة وهى أحد عنصرى المجتمع سريعة التقليد سهلة الانقياد أدركنا سر سرعة انزلاقها في الهاوية .

لذلك كان لزاما أن يقوم دعاة الإصلاح الاجتماعى بالدعوة إلى التمسك بتقاليدنا الشرقية الموروثة والعمل على تطهير المجتمع من هذه الشرور التي ذهبت الفتاة صحتها . وبذلك نستطيع أن نؤسس البيت المصرى على دعائم قوية من الفضيلة ومثانة الخلق .

(ثانيا) إعطاء المتزوج بعض الامتيازات التي تشعره بأن الحياة الزوجية ايسر عبئا ثقيل يصعب حمله . فالأسرة ليست إلا جزءا من مجموع الأمة أو هى ليست إلا الأمة مصغرة إن سعدت واطمأنت في حياتها - سعدت الأمة في مجموعها .

وتتخصر هذه الامتيازات في التشجيع المادى عند الزواج ويستمر كلما أعقب الفرد مولودا، كما تتخصر في عون الحكومة له بتعليم بعض أبنائه بالمجان في مراحل التعليم المختلفة . وبذلك يشعر المتزوج بأن تبعات الحياة وتكاليفها مقسمة بينه وبين حكومته وأنه لم ينفرد وحده بتحمل كل أعبائها .

قدرت الحكومة الحاضرة العبء الذى يروح تحته الموظف وبخاصة في الظروف الحالية كما قدرت ما تتطلبه الحياة الزوجية من نفقات فقررت رفع الفبن عن الموظف الصغير والتخفيف عنه وتشجيع المتزوج ماديا . ولئن كان هذا الانصاف الذى تشكر عليه ليس كل ما يطمح فيه الموظف إلا أنه دليل على تفكير أولى الأمر في شأنه ورغبتهم في تحسين حاله .

ثالثاً — سن تشريع خاص يسهل مسألة الزواج للراغبين فيه . فما زالت الأسر المصرية بصفة عامة تغالى في صداق بناتها وترهق الشاب المتقدم للخطوبة بنفقات فوق طاقته . وما زالت الفكرة القديمة التى تنظر إلى الزواج على اعتبار أنه صفقة تجارية وليس تعاوناً على الحياة مهيمنة على عقول الكثيرين حتى إن المتقدم للزواج يتقدر بقدر ما يدفعه لا بقدره هو من حيث شخصيته وأخلاقه .

إن النظر إلى الحياة الزوجية يجب أن يكون فوق المادة فقد ثبت فساد النظرية القديمة وما الحياة الزوجية إلا شركة بين شخصين يجب أن يسودها الرئام والاخلاص كما يجب أن يشعر كل شريك بالميل إلى الآخر وبرغبته فى استمرار الشركة . إما أن ينظر إليها غير هذه النظرة فيكون مآلها الفشل أو ما نسمع من مآس اجتماعية .

عمل كثير من الدول على تيسير مسألة الزواج حفظاً لحياتها ومجموعها — فتركيا وحى أحدث هذه الدول عهداً بذلك سنت تشريعا خاصا يشجع الشباب على الزواج ويسهل له الاقدام على هذه المسألة الحيوية . وقد تناول هذا التشريع فى أهم مواده مسألة الصداق ونفقات الزواج وجعلها فى مقدور كل فرد، بل إنها فى بساطتها تكاد لا تشعر الشخص بها .

وإننا فى مصر لنى أشد الحاجة إلى مثل هذا التشريع فسوف يكون له أثر كبير فى حل مشكلة الزواج التى لا يجد الشبان أمامهم ما يشجعهم على الاقدام عليها .

هذا هو تحليل مفصل لمشكلة الزواج وما اقترحه لنا من حلول فأرجو أن تنال عناية من يهمهم أمر مشاكلنا الاجتماعية والله ولى التوفيق .

أحمد خليف